Al-Daleel
مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية
Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies

The Illusion of Conflict between Science and Religion in Islamic and Western Thought: A Comparative Study

Najaf irfani
PhD in Jurisprudence and Islamic Studies, Al-Mustafa International University, Afghanistan.
E-mail: najaf.erfani2005@gmail.com

Abstract

The dialectic concerning the relationship between science and religion represents a multifaceted intellectual issue that has long captivated thinkers and scholars of religion alike. This tension originated with the European Church, which took religion to be an alternative to science, when opposed scientific inquiry and persecuted scientists, thereby generating a lasting conflict between scientists and philosophers from the past till the present day. Some describe the relationship as conflictive, while others portray it as harmonious. However, with the emergence of Islam, the interaction between science and religion took on a more balanced and stable form. Islam promotes a positive view of both fields, seeing them as intertwined rather than in opposition; this is reflected in many Quranic verses that support a relationship based on knowledge, interaction, communication, and respect for specializations. This is what the present article seeks to explore, it takes on one of the critical issues within the discourse on the relationship between science and religion, that being the perceived conflict between them. It explains the concept and methodology of each field, displays practical examples, and offers a comparative analysis using descriptive methods for reviewing theories and their applications, and analytical methods for critique and evaluation. The goal is to demonstrate, through proves and evidence, that science and religion are not at odds but rather complement each other, each revealing unique aspects of the world. The article also considers major Western perspectives on this topic and compares them with views and theories found in Islamic intellectual and religious thought.

Keywords: Science, Religion, Islamic Thought, Western Thought, Science-Religion Relationship.

Al-Daleel, 2024, Vol. 7, No. 25, PP. 184-210

Received. 18/07/2024; Accepted. 14/08/2024

Publisher: Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies

©the author(s)

مؤسسة الدليل
لدراسات والبحوث العقدية
Al-Daleel Institution
for Doctrinal Studies
الدليل
Al-Daleel

وهمية الصراع بين العلم والدين في الفكرين الإسلامي والغربي.. دراسة مقارنة

نجف عرفاني

دكتوراه في الفقه والمعارف الإسلامية، جامعة المصطفى العالمية، أفغانستان.

البريد الإلكتروني: najaf.erfani2005@gmail.com

الخلاصة

إنّ جدليّة العلاقة بين العلم والدين تعدّ من الجدليّات الفكريّة المعقّدة، التي شغلت حيّزًا كبيرًا من اهتمام المفكّرين وعلماء الدين على الدوام، وكان السبب في ذلك الكنيسة الأوروبّية التي جعلت الدين بديلًا عن العلم، وذلك عندما حاربت العلم والعلماء، وأحدثت توتّرًا متواصلًا بين العلماء والفلاسفة قديمًا وحديثًا، فمنهم من يصف العلاقة بين العلم والدين بأنّها نوع من الصراع، ومنهم من يصفها بأنّها نوع من الانسجام، إلّا أنّ المسار مع مجيء الإسلام أخذ يتّجه نحو مسار أقلّ توتّرًا وأكثر استقرارًا؛ إذ إنّه ينظر إليهما نظرةً إيجابيةً؛ لأنّ الإسلام دينٌ يدعو إلى العلم، وهذا ما نشاهده في كثير من الآيات القرآنية التي تؤيّد هذه العلاقة التكاملية المبنيّة على مبادئ المعرفة والتفاعل والتواصل واحترام التخصّصات، وهذا ما يسعى إليه هذا المقال، وذلك من خلال معالجة إحدى الإشكاليات المهمّة في مجال العلاقة بين العلم والدين، وهي التعارض الذي يبدو بينهما، مع بيان مفهوم كلّ واحد منهما ومنهجيتهما على حدةٍ، والنماذج التطبيقية لهما، والمقارنة بينهما وفق المنهج الوصفي في استعراض النظريات وتطبيقاتها، والمنهج التحليلي في التقييم والنقد، مستخدمًا الأدلّة والبراهين على أنّ العلم والدين يتعاضدان ويتعاملان في تكميل بعضهما، وكلّ منهما يكشف عن بُعدٍ من أبعاد العالم، معتمدين على عرض أهمّ الرؤى الغربية التي عنت بمعالجة إشكالية العلاقة، ومن ثمّ مقارنتها مع الآراء والنظريات المطروحة في الأوساط الفكرية والدينية الإسلامية.

الكلمات المفتاحيّة: العلم، الدين، الفكر الإسلامي، الفكر الغربي، علاقة العلم بالدين.

مجلة الدليل، 2024، السنة 7، العدد 25، ص. 184 ـ 210

استلام: 2024/07/18، القبول: 2024/08/14

الناشر: مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث

© المؤلّف

المقدّمة

تمتدّ جدليّة العلاقة بين العلم والدين إلى تاريخ طويل، وأخذت في الآونة الأخيرة ـ خصوصًا في أوساطنا الفكريّة والثقافيّة والأكاديميّة ـ مساحاتٍ واسعةً من النقاش والجدل الكبير، سواءٌ في الغرب أم الشرق، واشتدّ هذا النقاش المحتدم خلال عصر النهضة الأوربّية عندما أدانت الكنيسة الكاثوليكيّة الرومانيّة نظريّة مركزيّة الشمس وحركة الأرض حولها، التي تسمّى النظريّة الكوبرنيكيّة، وتمسّكت بمركزية الأرض وعدّتها من الثوابت، وقد ذهب دوهم (Dohm) إلى أنّ مضامين الكتاب المقدّس صائبةٌ ومطابقةٌ للواقع مئة بالمئة، فعندما تصرّح النصوص الدينيّة بأنّ الأرض هي المركز والشمس تدور في فلكها، فهذا أمرٌ صحيحٌ وصائبٌ جدًّا؛ وذلك لأنّ الدين يخبر عن الواقع، أمّا ما يُحدِّثُ به العلم، فهو مجرّد بيان للمصلحة العمليّة وأداة مؤثّرة وفاعلة ليس لها حظٌّ من الواقعيّة. [سروش، علم و دين، ص 25]

ونتيجةً للاكتشافات العلميّة الحديثة التي كانت تخالف ما تقرّره الكنيسة؛ اتّسعت الهوّة والفجوة بينهما، ووقعت الشعوب الأوروبيّة بين مطرقة رجال الإكليروس وسندان الحكم الإلهي المقدّس، فانتشر الظلام وشاع التخلّف وساد الجهل، وغطّت أوربّا في حالة من السبات العميق حتّى عُرِف باسم "العصور المظلمة"، وفي ظلّ هذا المناخ المثبط المعادي للعلم والعلماء، الذي لم يقتصر على مستوى الكنيسة الكاثوليكية بل امتدّ إلى البروتستانتية أيضًا، فمن الطبيعي أن يكون هناك عداء بين العلم والدين؛ وذلك بسبب الدور الذي أدّته محاكم التفتيش في قمع العلم والعلماء، وطرحت هذه القضيّة المهمّة في علم الكلام الجديد تحت عدّة عناوين مثل: "صراع العلم والدين" أو "تناقض العلم والدين" ... والمدهش أنّ بعض المنتمين إلى الإسلام قد تناولوا هذه القضيّة بين الرفض والقبول: فمنهم من قالوا بوجود التعارض البنيوي بينهما، وانضمّوا إلى الملحدين، وأيّدوا كون العلم مناقضًا للدين، متقمّصين بذلك ـ عمدًا أو جهلًا ـ الدور الذي كانت الكنيسة تؤدّيه، ومنهم من قالوا بعدم وجود أيّ تناقض بينهما؛ إذ إنّ العلم يتوافق كلّ التوافق مع الدين، وأنّ الدين والعلم يأخذ أحدهما بيد الآخر ... وهكذا؛ ومن هذا المنطلق نقول إنّ جدل الثنائيات ليس غريبًا على تراثنا الطويل، فنجد التوحيد يقابله الشرك، والإيمان يقابله الكفر، والجبر يقابله الاختيار ... وفي اعتقادي أنّ تلك الثنائيات الفكريّة التي اجتاحت فضاءنا الإسلامي، قد استهلكت مجهوداتٍ فكريّةً كثيرةً ومشاريع نهضويّةً، تراكمت من خلالها طروحات نقديّة ونصوص معرفيّة قيّمة بلا شكّ، فالإسلام بوصفه دينًا ورسالةً إنسانيّةً يقوم على عنصر

الوحي، وتقتضي تعاليمه الانقياد والاستسلام والإذعان لما جاء من عند الله، وسنعمل في هذه الدراسة على معالجة هذه الإشكاليّة المعرفيّة المتجذّرة في فضاء الثقافة الإسلاميّة، وتفكيك مصطلحاتها وتحليل معانيها، وعرض أهمّ السجالات التي تناولت بالدرس موضوعاتٍ يلتقي حولها العلم والدين بأنّها علاقة تكاملية، التي يتحدّد من خلالها الإطار العقدي والفكري للحياة الإنسانيّة، ولكن قبل أن نخوض في صلب الموضوع لا بدّ من تحديد ماهية العلم وماهية الدين في الفكر الإسلامي والغربي؛ لنتعرّف من خلال ذلك على العلاقة القائمة بينهما، أهما متغايران أو منسجمان؟ وهذه الدراسة تتضمّن أهمّ المحاور التي تطرح للبحث والتحليل في العلاقة.

المبحث الأوّل: العلم في الفكر الإسلامي

من خلال التدقيق في الدراسات المعاصرة، نواجه في الوهلة الأولى إشكاليّة انحصار مفهوم العلم في البعد الديني دون العلمي، ولكن ما نشاهده خلاف ما يدّعونه في هذه الإشكاليّة؛ لأنّ العديد من العلماء بذلوا جهودًا مهمّةً في ضوء تمسّكهم بالعلم الديني والتجريبي؛ لأنّه من المحال أن ينحصر العلم بالعلوم الدينية؛ لأنّ تجاذب العلوم الدينية مع العلوم التجريبية لا يمكنه أن يخلّي سبيل الإنسان الحرّ والمهتمّ، وهذا يفتح لنا مجالًا للتناسق أكثر بين العلومين، فنذكر أهمّ الآراء التي طرحت حول هذه القضيّة:

منها: تقسيم العلم للسرجاني في كتابه "العلم وبناء الأمم"، الذي يقسّمه إلى قسمين:

أحدهما: العلوم الدينيّة، وهي: العلوم التي يُعرَف بها الله تعالى، ويُعرَف بها كيف تكون العبادة الصحيحة، ويشمل ذلك كلّ العلوم المتعلّقة بدراسة الدين وفقه الشريعة، مثل علوم القرآن، وعلوم السنّة والحديث الشريف، وعلوم العقيدة، وعلوم الفقه وأصوله، وعلوم الأخلاق، وغير ذلك ممّا يتعلّق بالشريعة والدين، ويرتبط بهذا القسم بعض العلوم الأخرى التي يُحتاج إليها في فقه تلك العلوم الشرعيّة، مثل علوم اللغة والأدب والتاريخ، ونحو ذلك. [السرجاني، العلم وبناء الأمم، ص37]

والآخر: العلوم الدنيويّة، وهي: العلوم النافعة التي يحتاج إليها الإنسان؛ ليصلح بها حياته، ويعمِّر بها أرضه، ويستكشف بها كونه وبيئته، وذلك مثل علوم الطبّ والهندسة والفلك والكيمياء والفيزياء والجغرافيا، وعلوم الأرض والنبات والحيوان، وغير ذلك من العلوم المشابهة. [المصدر السابق، ص38]

ومنها: تعريف العلم للشيخ جوادي آملي: «العلم الذي يقصد منه هو المعنى الأعمّ الذي يشمل جميع العلوم، ولا يقتصر على العلوم التجريبية. إنّ الأنواع الأربعة للعقل وهي: العقل التجريبي، والعقل شبه التجريدي، والعقل التجريدي، والعقل الخالص، إنّما تكون من العلم إذا كانت مورثةً لليقين أو الاطمئنان، وتحصل ـ إلى جانب النقل ـ على منزلة خاصّة في دائرة معرفة الدين» [انظر: جوادی آملی، منزلت عقل در هندسه‌ی معرفت دینی، ص28].

إنّ عنوان العقل يشتمل على جميع هذه العلوم المختلفة؛ لأنّ مصدر العلوم المختلفة هو العقل، كما يقول الشيخ جوادي آملي: «إنّ العلوم التجريبية، والرياضيات، والعلوم الفلسفية، والكلامية، والعرفانية، يتمّ تحصيلها بواسطة العقل، وعنوان العقل يشمل جميع هذه العلوم المختلفة» [انظر: المصدر السابق، ص14].

ومنها: تعريف العلم للشيخ مصباح اليزدي: «فإنّ منهج العلم لا ينحصر في الحسّ والتجربة، بل يتّسع ليشمل أيّ منهج معتبر، تجريبيًّا كان أو عقليًّا تجريديًّا، أو قلبيًّا شهوديًّا، فيكون تعريف العلم حسب هذه المختصّات أنّه نظام من القضايا الحصولية الناتجة عن مناهج معرفة مختلفة، كالعلم التجريبي والفلسفة والتاريخ والعرفان والأدب وغير ذلك» [مصباح اليزدي، المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، ج1، ص55؛ خسروپناه، گام جدید با رویکرد معاصر، ص391].

ومن هذا المنطلق ـ كما هو ملاحظ من هذه التعاريف المختلفة ـ يمكننا القول إنّ المفهوم الأساسي الذي بنى عليه العلماء في دراساتهم المعاصرة، هو أنّ مفهوم العلم استعمل بمعناه الواسع، بحيث يشمل جميع العلوم التي يُنتفع بها، سواء أكانت متعلّقةً بأمور الدين، أم بأمور الدنيا، وهذا ما يوضّحه القرآن الكريم أنّ جميع الكون كتاب للعلم بالله، ويذكر أيضًا أنّ التفكير في الظواهر الكونية ومعرفة نواميسها الإلهية يعمّق الإيمان بالله ويزيد الخشية منه؛ كما قال الله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۞ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**﴾ [سورة فاطر: 27 و28]، فيطلق العلم على كلّ ما هو نافع من المعارف التي يدركها الإنسان، كما في قوله تعالى: ﴿**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾، وهذا ما يهدف إلى تكوين الإنسان الصالح وزيادة صلته بالله تعالى.

المبحث الثاني: العلم في الفكر الغربي

إنّ مفهوم العلم في الفكر الغربي قائم على الملاحظة والتجربة، يقول الدكتور جميل صليبا: «إنّ العلم يطلق في العصر الحديث على العلم التجريبي» [صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، ص99]، ويرى راسل (Bertrand Russell) أنّ الحقائق في المنظور الغربي يجب التأكّد منها بالملاحظة، وليس بالرجوع إلى النصوص القديمة (أي الدينية). [راسل، أثر العلم في المجتمع، ص94]

ويمكن طرح مثال في هذا المجال من كلام الفيلسوف الاجتماعي الفرنسي أوغست كونت (Auguste Comte) الذي حصر المعرفة في نطاق التجربة والإدراك الحسّي الوضعي؛ إذ قال: «إنّه لا سبيل إلى المعرفة إلّا بالملاحظة والخبرة، وكلّ ما وراء ذلك من الأديان والغيبيات مرفوض؛ باعتباره غير علميّ؛ لذا يرى كونت أنّ الغيبيات افتقدت مبرّر وجودها؛ لأنّها كانت تؤثّر في الناس بأحلامها الباطلة، قبل أن تتكاثر العلوم الوضعية» [الزبيدي، مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، ص53].

ويرى أينشتاين (Albert Einstein) أنّه ليس من العسير أن نتّفق على المعنى المقصود بكلمة "علم" (Science)، فالعلم هو السعي عبر القرون عن طريق التفكير المنظّم نحو تجميع كلّ الظواهر الممكن إدراكها حسّيًّا في هذا العالم من ارتباط شامل بقدر الإمكان [أينشتين، أفكار وآراء، ص248]، أي أنّ العلم هو التفكير المنهجي الذي نوجّهه نحو اكتشاف الارتباطات التي تنتظم وفقًا لها مختلف تجاربنا الحسّيّة. [المصدر السابق، ص252]

استنادًا إلى هذه التعريفات السابقة يتّضح أنّ النظرة الرائجة في الغرب تحصر العلم في المنهج الحسّي التجربي، كما أشار إليها أحد المفكّرين المختصّين في العلاقة بين العلم والدين في الفكر الغربي، إلى أنّ المراد من العلم هو العلوم الطبيعية، وباستثناء بعض الآراء العابرة لم نذكر بحثًا عن العلوم الاجتماعية. [باربور، علم و دين، ص 9]

وما نريد أن نبحثه في هذا المقال هو المعرفة الحاصلة عن طريق العلم المادّي التجريبي (Science).

المبحث الثالث: مقارنة مفهوم العلم بين الفكرين الإسلامي والغربي

أوّلًا: أنّ منهج العلم في الفكر الإسلامي لا ينحصر في الحسّ والتجربة، بل يتّسع ليشمل أيّ منهج معتبر ـ سواء أكان تجريبيًّا أم عقليًّا تجريديًّا أم قلبيًّا شهوديًّا ـ فيقوم التعريف على المزواجة بين العقل الصحيح والنقل الصريح ـ فلا تعارض بين ما جاء به العقل بناءً على الملاحظة والتجربة وما أخبر به الوحي الإلهي المنزل على الرسول ﷺ بواسطة الوحي الجليّ

كالقـرآن الكريـم، أو الـوحي الخـفيّ الذي يـوحي الله بـه إلى قلـب رسـوله بواسـطة رؤيـا في نومـه، أو نفـث في روعـه في اليقظـة. [القرضـاوي، موقـف الإسـلام مـن العقـل والعلـم، ص 26]

وهـذا بخـلاف مـا يذهـب إليـه الفكـر الغـربي؛ إذ العلـم عندهـم مقصـور على الملاحظـة والتجربـة، وهـذا نـوع مـن التقـصّي على النصـوص الدينيـة، والتجربـة الحسّـيّة لا يحـقّ لهـا أن تنـفي وترفـض مـا لا تثبتـه بـالأدوات التجريبيّـة المتأطّـرة بإطـار الحـسّ والمـادّة؛ لأنّ الحصـول على مـا وراء الحـسّ يحتـاج إلى أدوات ومناهـج تتـلاءم مـع مـا وراء الطبيعـة، وأمـور غـير محسوسـة، كالعقـل والـوحي والشـهود الباطـني؛ لذا يلاحـظ أنّ الكثـير مـن الفرضيـات والقوانـين التجريبيّـة تنتقـض وتبطـل بعـد فـترة بسـبب اكتشـافات جديـدة وفرضيـات حديثـة، فالقضايـا التجريبيّـة تنتظـر إبطالهـا ونسـخها بطـروّ فرضيـة جديـدة، فليسـت هنـاك نظريـات وقواعـد قطعيّـة يقينيّـة لا يشـقّ عليهـا الغبـار في العلـوم التجريبيّـة، فليـس التعـارض بـين العلـوم التجريبيّـة والقضايـا الدينيّـة تعارضًـا بـين أمريـن قطعيـين محسـومين، بـل أحـد طـرفي التعـارض ظـنيٌّ دائمًـا. [مصباح اليـزدي، علاقـة العلـم والديـن، ص 148]

ثانيًـا: أنّ سـبب انحصـار العلـم بالملاحظـة والتجربـة، هـو ردّ فعـلٍ لموقـف رجـال الكنيسـة مـن فـرض آرائهـا بالقـوّة، حـتّى لـو كانـت تتعـارض مـع الحقائـق العلميّـة الثابتـة، وعلى سـبيل المثـال ارتكبـت أفظـع المجـازر مـن اعتقـال وحـرق وإعـدام ضـدّ العلمـاء الذيـن تبنّـوا آراء غـير مـا كانت الكنيسـة تعتقـد، وهـذا ما فعلته مـع نيكـولاس كوبرنيـك (Nicolas Copernic) إذ توصّـل عام 1543 م إلى دوران الأرض، وأنّ الشـمس هي مركـز الكـون، وليـس الأرض كمـا كان معتقَـدًا قبـل ذلـك، إلّا أنّهـا كانـت كارثـةً في أوروبـا، فقـد رفـض رجـال الكنيسـة الحقيقـة العلميّـة، بمـيزان "الحقائـق" الإنجيليّـة، فـرأوا أنّهـا تتناقـض مـع معتقداتهـم؛ فاضطهـدوا كوبرنيـك، الذي لـم يقـوَ على مواجهة المعارضـة العنيفـة وعاش بعيـدًا، ومـات في السـنة نفسـها الـتي نـشر فيهـا كتابـه بعـد تحمّـس أحـد معجبيـه، وبعـد أن أدخـل تعديـلاتٍ يقـرّ فيهـا بـأنّ نظريتـه مجـرّد فـروض تحتمـل الخطـأ.

ولكـن حـين تبـنّى جوردانـو برونـو (Giordano Bruno) نظريـة كوبرنيـك، بعـد موتـه بثمانـين عامًـا؛ باعتبارهـا حقيقـةً، سـارعت محكمـة التفتيـش إلى تحريـم قـراءة كتـاب كوبرنيـك وإلى إعـدام برونـو ـ الذي طـوّر آراء كوبرنيـك وأضـاف إليهـا مـن عنـده ـ حرقًـا في ميـدانٍ عامٍّ.

وأفـكار كوبرنيـك كانت هي الأسـاس لأفـكار غاليليو غاليـلي (Galileo)، الذي اسـتدعته الكنيسـة الرومانيـة مرّتـين للتحقيـق معـه في صحّـة مناصرتـه لنظريـة كوبرنيـك، وحكمـت عليـه عام 1633 بالسـجن المؤبّد.

كما أصدرت محاكم التفتيش قراراتٍ تحرّم قراءة كتب غاليليو غاليلي وجوردانو برونو وإسحاق نيوتن (Isaac Newton)؛ لقوله بقانون الجاذبيّة، وأمرت بحرق كتبهم، وقد أحرق بالفعل الكاردينال إكيمنيس في غرناطة 8000 كتاب مخطوط لمخالفتها آراء الكنيسة! [انظر: السرجاني، ماذا قدّم المسلمون للعالم؟، ص 36]

ثالثًا: هناك محاولة من قبل ر. أبل يستقصي الفروق والاختلافات بين مجموعتي العلوم الطبيعيّة والإنسانيّة، وانتهى إلى حصرها في إحدى عشرة نقطةً هي كما يلي:

1ـ في العلوم الطبيعيّة يمكننا التثبّت من الفرض عن طريق التجربة، في حين أنّه لا يمكن اللجوء إلى التجربة في مجال العلوم الاجتماعيّة.

2ـ في العلوم الطبيعيّة يمكننا تكرار التجارب حتّى نصل إلى التعميم، ولكن في العلوم الاجتماعية نتعامل مع مواقف غير متّسقة بحيث لا يوجد شخصان أو موقفان متماثلان.

3ـ في العلوم الطبيعيّة يمكننا عزل العوامل بحيث تؤدّي الفروق إلى تنبّؤات غير متأثّرة بمتغيّرات خارجيّة، إلّا أنّه لا يمكننا تحديد الظواهر الاجتماعيّة بوصفها موضوعًا بسبب تعقّد العوامل الداخليّة فيها.

4ـ يمكن التوصّل إلى التنبّؤ في العلوم الطبيعيّة، بينما لا يمكن بلوغ هذا المستوى بتأكيد مرتفع في العلوم الاجتماعيّة.

5ـ يمكننا في العلوم الطبيعيّة ذكر الفروق بدقّة وعمومية؛ لأنّها تتناول متغيّرات صادقة خلال المجتمع كلّه، في حين لا يتوفّر هذا إلّا بشكل محدّد في العلوم الاجتماعيّة (مثل معدّل الوفيات).

6ـ يمكننا في العلوم الطبيعيّة التثبّت من الغرض عن طريق الملاحظة، في حين أنّنا في العلوم الاجتماعيّة لا يمكننا ذلك إلّا في حدود ضيّقة جدًّا.

7ـ يمكننا في العلوم الطبيعيّة استخدام القياس، في حين يتعذّر هذا في العلوم الاجتماعيّة؛ لأنّ مفاهيمها غامضة وكيفيّة.

8ـ يمكننا في العلوم الطبيعيّة دراسة الظواهر بدون اهتمام بالماضي، ولا يمكننا هذا في العلوم الاجتماعيّة؛ لأنّه يحدث أحيانًا أن تكذّب التنبّؤات بسبب أشياء غير ملاحظة وغير متثبّت منها حدثت في الماضي.

9ـ في حين أنّ العالم الطبيعي ليس له تأثير على اكتشافاته في العلوم الطبيعية، إلّا أنّ ثمّة تفاعلًا دائمًا بين الباحث وموضوع بحثه في العلوم الاجتماعية.

10ـ لا يهتمّ العالم الطبيعي بموضوع بحثه بقدر اهتمام العالم الاجتماعي الذي يتصدّى لبحث موضوعات مثل تنظيم النسل والاشتراكية والجريمة.

11ـ يمكننا في العلوم الطبيعيّة عزل الوقائع، في حين يستحيل ذلك في العلوم الاجتماعيّة، ويرجع هذا إلى أنّ العلماء الاجتماعيين يواجهون عند وصفهم لفروضهم بأنّ الوقائع الاجتماعية توجد في شكل جمعي وترد في سياقات، بالإضافة إلى وجود تصوّرات غامضة وكيفية. [علا أنور، التفسير في العلوم الاجتماعية، ص 208]

المبحث الرابع: الدين في الفكر الغربي

تعدّ مسألة الدين في الغرب من أهمّ المسائل التي شغلت علماءهم، وهناك مجموعة من التعريفات التي طرحها علماء الغرب، وقد أوردها الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه "الدين":

1ـ يقول كانط في كتابه "الدين في حدود العقل": «الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهيّة».

2ـ ويقول شلايرماخر في كتابه "قانون الإنسانيّة": «قوام حقيقة الدين شعورنا بالحاجة والتبعيّة».

3ـ ويقول ماكس مولر في كتاب "نشأة الدين ونموّه": «محاولة تصوّر ما لا يمكن تصوّره، والتعبير عمّا لا يمكن التعبير عنه».

4ـ يقول إميل دوركايم في "الصورة الأولى للحياة الدينية": «الدين مجموعة متساندة من الاعتقادات والأعمال المتعلّقة بالأشياء المقدّسة (أي: المعزولة المحرّمة)، اعتقادات وأعمال تضمّ أتباعها في وحدة معنويّة تسمّى الملّة». [عبد الله دراز، الدين، ص 34 - 36]

ومن الملاحظ في هذه التعاريف أنّ هناك محاولةً من جانب بعض الغربيين لإعطاء تعريف للدين يبعده عن دائرة الحياة الاجتماعية بمنحه بعدًا روحيًّا أو أخلاقيًّا، وهذا العجز الذي أصاب الفكر الغربي في تحديد تعريف للدين، يرجع بالأساس إلى المبادئ المعرفية والفلسفية التي اعتمدوا عليها في تعريف الدين، بحيث تمّ إفراغ الدين من مضامينه الأساسيّة، واستبداله بمفاهيم تمثّل رؤيةً أيديولوجيةً قاصرةً، فبرزت آراء فلسفية عديدة تنظر إلى أثر الدين والمنفعة التي يسعون إلى تحقيقها وليس إلى ماهيته وطبيعته.

المبحث الخامس: الدين في الفكر الإسلامي

إنّ التعريفات الاصطلاحية للدين تختلف باختلاف وجهة النظر التي يؤمن بها ويعتقد فيها صاحب التعريف، ولكن ما نقصده في هذا البحث هو «مجموعةٌ من العقائد والأخلاق والقوانين والأحكام الفقهية والقانونية التي صدرت ونشأت من الله ـ تعالى ـ لهداية البشر وسعادته، فالدين مجعولٌ من قبل الله تعالى، وهو الذي شرّع وقنّن هذه المجموعة» [جوادی آملی، منزلت عقل در هندسه‌ی معرفت دینی، ص 19]. وفي هذا الإطار نرى أنّ الدين الذي نصبو إليه في بحثنا هذا ليس مطلق الدين، بل الدين الذي هو عبارة عن المنظومة الاعتقادية التي تتمركز حول منشئ الكون ومبدع الإنسان، وينبثق عنها أعمالٌ وأحاسيس تناسبها، وهذا ما يذكره أحد المفكّرين الذي يرى أنّ العرف عادةً ينظر إلى الدين بأنّه الشرائع والتعاليم الإلهيّة التي لها منشأٌ واقعيٌّ، على أساس أنّ الله ﷻ هو الذي أوحاه إلى أنبيائه، فيكون الدين هو مجموعة العقائد الصحيحة والمطابقة للواقع والسلوكيات التي لها تأثير في وصول الإنسان إلى الكمال والسعادة الحقيقية. [حسن زاده آملي، مدخل في نظرية المعرفة وأسس المعرفة الدينية، ص 9] فيكون الدين هو ما أنزله الله تعالى ﷻ على نبيّه محمّد ﷺ وجعل تبيينه على عاتقه وعاتق أوصيائه عليهم السلام من بعده، وما نقصده في المقال هو دين الإسلام؛ باعتباره الدين الإلهي الذي نطمئنّ ببقائه على ما هو عليه.

وبعد استكمال المبادئ المفاهيميّة، نتناول النتيجة المترتّبة عليها، وهي أنّ العلم والدين يشكّلان مدخلًا إلى الواقع، ويشيران إلى حقيقةٍ واحدةٍ، وهي أنّ العلم يتحدّث عن مستويات واقع عالم الطبيعية المتنوّعة ـ أعمّ من الملاحظة والنظرية ـ في حين أنّ الدين لا يتحدّث عن مستويات عالم الطبيعة فحسب، بل يشير إلى الواقع الميتافيزيقي لعالم الحقائق؛ ومن هنا ندخل في أصل البحث في المحورين التاليين، ونحاول أن نشير إلى بيان جملة من الحلول والمعالجات المتاحة لدى التيّارات الفكريّة في الغرب فيما يرتبط بحلّ إشكاليّة التعارض بين العلم والدين، ومن ثمّ نحاول التعبير عن رأي الإسلام من خلال هذه الحلول والمعالجات.

المبحث السادس: العلاقة بين الدين والعلم في الفكر الغربي

التركيب الاصطلاحي (العلم والدين) يدلّ على وجود اختلاف إبستمولوجيّ بين كلّ من العلم والدين، وعلى ضوئه يطرح السؤال عن إمكانية أو عدم إمكانية التعامل معرفيًّا فيما بينهما، وفي هذا السياق تمّ تدوين دراسات وبحوث علمية بغية بيان العلاقة المفترضة بينهما؛ إذ تمحورت حول شرح وتحليل الموضوع ضمن أربعة محاور، وهي: التطابق والتباين والتعاضد والتعارض. [باربور، علم و دين، ص183 - 260]

وهنـاك عـدّة تصنيفـات تمـيّز العلاقـة بـين العلـم والديـن، منهـا تصنيـف ميكائيـل سـتنمارك (Mikael Stenmark)؛ إذ نـراه يفـرّق بـين ثلاثـة آراء: الاسـتقلاليّة التامّـة (إذ لا تداخـل بـين العلـم والديـن)، والاتّصـال (إذ يوجـد بعـض التداخـل بـين الحقـول)، والاتّحـاد بـين ميـداني العلـم والديـن، إلّا أنّ أشـهر تصنيـف للعلاقـات الممكنـة بـين الديـن والعلـم هـو مـا وضعـه إيـان باربـور (Ian Barbour)، الذي رأى مع تطوّر العلوم المتسارع أنّ الإنسان يواجه أربعة اتّجاهات ممكنة:

1ـ الصراع بين العلم والدين.

2ـ الاستقلال بين العلم والدين.

3ـ الحوار بين العلم والدين.

4ـ الانسجام بين العلم والدين.

[انظر: رضائي وآخرون، أبحاث في الكلام الجديد، ص322؛ بترسون وآخرون، العقل والاعتقاد الديني، ص358]

الاتّجاه الأوّل: الصراع بين العلم والدين

لقـد خلقـت الاكتشـافات العلميّـة صراعًا بينهـا وبـين مـا تبنّتـه الكنيسـة في ذلـك الوقـت؛ ولذلـك عارضـت الكنيسـة معظـم الاكتشـافات؛ ومـن هنـا بـدأت الشـكوك تتسـلّل إلى عقـول المتديّنـين الذيـن يعتقـدون بحرفيـة الكتـب المقدّسـة، فأصبحـت هنـاك روايتـان تاريخيتـان تؤمنـان بالـصراع بـين العلـم والديـن: المادّيـون والنصّيـون؛ فالماديّـون العلميّـون هـم فئـة مـن الأشـخاص يعتقـدون بـأنّ الواقـع يمكـن تفسـيره وفقًـا للقوانـين العلميّـة والظواهـر الطبيعيّـة، ويرفضـون الأفـكار الدينيّـة أو الروحيّـة، ويـرون أنّ العلـم والمنهـج العلـمي همـا الوسـيلة الوحيـدة لفهـم الكون وتفسـيره. [كلشـني، العلـم والديـن مـن منظـور الرؤيـة الكونيـة التوحيديـة، ص75]

أمّـا النصّيـون (Litecalism)، فيمنحـون الأصالـة إلى الكتـاب المقـدّس، ويتجاهلـون الذي يعارضـه، فالنصّيّـة هي الـتي أدّت إلى إدانـة غاليليـو، وبعـد أن قـدّم داروين نظريّـة التطـوّر، عدّهـا بعضهـم تحدّيًـا للكتـاب المقـدّس، ودافعـوا عـن عصمـة الكتـاب المقـدّس ورفضـوا التطـوّر كلّيًّـا. [المصـدر السـابق، ص76]

وهناك عدة عوامل بلورت الصراع بين العلم والدين في الفكر الغربي:

1ـ عـدم وجـود مـتن وحيـاني غـير محـرّف في المسـيحية، ورواج العقائـد الخاطئـة، مـن قبيـل: عقيـدة ألوهيّـة المسـيح والتثليـث، وضعـف المفاهيـم الكنيسـية حـول الله ومـا وراء الطبيعـة.

2ـ جمود الكنيسة على النصّ أو ظواهر الكتاب المقدّس.

3ـ إضفاء القدسية على بعض الأفكار الفلسفية كأفكار أرسطو والهيئة البطلميوسية ومزجها مع التعاليم المسيحية.

4ـ أدّى الفساد الذي استشرى في الجهاز الكنسي، وظهور أمور من قبيل بيع صكوك الغفران، وعصمة البابا وغير ذلك إلى العديد من الاعتراضات على المسيحية كاعتراض لوثر (Martin Luther) وكالفن (John Calvin).

5ـ إدانة الكنيسة للنظريات العلمية، وتطوّر العلم من دون احتضان الإيمان له؛ إذ كان القساوسة يجهلون التطوّرات الحاصلة في العلوم التجريبية.

6ـ عدم التفريق بين الدين والقراءات الشخصية له، ونتيجته استنباطات عقدية من النظريات العلميّة وإسقاطها على الكتاب المقدّس. [محيطی اردكان، تاريخ ارتباط علم و دين در اسلام و غرب، مجله معرفت، شمارۀ 188، ص33]

ومن هذا المنطلق أخذ هذا التعارض نوعًا من الهاوية، حتى أصبح المتديّنون يخافون من معطيات العلم الحديث، وكذلك العكس، وأصبحت العوائل المسيحية تخرّج أبناءها من المدارس وتتقدّم بشكوى ضدّ المدرسة؛ لكونها تمدّ الأطفال بأمور تخالف الفكر المسيحي، ويدرس الأطفال ضمن مدارس خاصّة بهم. [پترسون و ديگران، عقل و اعتقاد دينی، ص70]

مناقشة الصراع بين العلم والدين

إنّ احتمال الصراع لا يحدث إلّا مع افتراض أنّ كلّ مسألة من المسائل العلميّة والدينيّة لها معنى خاصّ يختلف عن معنى المسألة الأخرى؛ لأنّ العلم والدين الحقيقيين والمطابقين للواقع يختلفان عن العلم والدين الموجودين في الكتب التي يمتزج فيها الحقّ بالباطل، فإذا أردنا تحرير أيّ موضوع يكون من خلال بيان علله الأربع؛ ولذا نحلّل العلل الأربع للدين [الحقّ]، ولا يخفى أنّ هذا التعليل يكون على نحو التقريب دون التحقيق؛ لأنّ العلل الحقيقيّة ترجع إلى المعلول الواقعي، والدين بما أنّه لا يملك وحدةً حقيقيّةً لا يكون معلولًا حقيقيًّا. والمراد من العلل الأربع، هي: العلل الفاعليّة، والغائيّة، والصوريّة، والمادّيّة. وكلّ تحليل لحقيقة أيّ شيء يرجع إلى إحدى العلل الأربع ... أمّا العلّة والمبدأ الفاعلي للدين، فهو الله ﷻ، بمعنى أنّه ﷻ ينظّم أصول الدين العقديّة والأخلاقيّة والعمليّة، وأمّا العلّة والمبدأ الغائي، فينقسم إلى الغاية الوسطى والغاية القصوى، والجامع بينهما يحقّق سعادة الدنيا والآخرة، والغاية الوسطى للدين هي قيام الناس بالقسط والعدل، والغاية القصوى

أن يتنوّر الإنسان بالنور الإلهيّ، وأمّا العلّة والمبدأ الصوري للدين، فيتجلّى على نحو الكتاب والسنّة والمباني العقليّة، وأخيرًا فالعلّة المادّيّة ـ أي موضوع الدين ومادّته ومحلّه ـ هي حقيقة الإنسانيّة؛ إذ تطرح بخصوص الإنسان مواضيع عدّة، كالعقيدة والتخلّق والاتّصاف والعمل، التي هي موضوع الأحكام الدينيّة، ويعدّ الموضوع بمنزلة المحلّ والمادّة ... وبناءً على هذا، فإنّ في الدين الحقّ على غرار الانشغال بالمبدإ الفاعلي، يلزم الالتفات أيضًا للمبدإ الغائي، الذي هو تأمين سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، ويجري تنظيم صورة الدين بحيث يتمكن من تأمين ذلك الهدف. [جوادي آملي، معرفة الدين، ص26]

وعلى غرار الدين الحقّ، يمكننا تبيين الدين الباطل وفقًا للعلل الأربع أيضًا؛ لأنّ للموجود الباطل وجودًا عرضيًّا وظهورًا وحضورًا بالعرض وزائلًا في الوجود، وإذا كان ظاهرًا فظهوره في ظلّ الحقّ، فالدين الباطل يوجد بالعرض؛ ولذا فإنّ تبيين الدين الباطل يكون باعتبار وجوده العرضي، كما أنّ تعليله بالعلل يكون بالعرض أيضًا.

أمّا المبدأ الفاعلي، فهو الهوى في الإنسان، وأمّا المبدأ الصوري، فهو العقائد والأخلاق والأحكام الوهميّة والخياليّة، دون الحقائق والأحكام العقليّة؛ لأنّ الهوى لا علاقة له بالعقل والقلب، حتّى أنّه حاجبٌ للعين والأذن أمام شهود الحقّ، وأمّا موضوع الدين الباطل ومحلّه، فهو الإنسان الذي يقبل الضلال، وأمّا الهدف الغائي للدين الباطل، فهو السقوط في الجحيم، وهذه الغاية غاية عرضية للإنسان، وإلّا فالله تعالى جعل العبادة غاية خلقة الإنسان، كما جعل العلم غايته العلميّة والعقليّة، فهدف خلق الكون التعرّف على قدرة الله ﷻ المطلقة وعلمه، ومن عرف الله بالعلم والقدرة، عرفه أيضًا بالحياة؛ لأنّ كلّ عليمٍ وقديرٍ حيٌّ، وإذا عُرف الله بالحياة، عُرف بسائر أسمائه الحسنى ... وبناءً على هذا، لا يوجد هدف لذات البارئ تعالى، ولكن بما أنّه حكيمٌ، تقتضي حكمته هذه أن يكون للخلق هدف، ويعدّ هذا الهدف هدف المخلوق، وهذا الهدف هو الوصول إلى العلم الصائب، والإيمان الكامل، والعمل الصالح، وفي الختام نيل السعادة. [المصدر السابق]

ومن هذا المنطلق نكشف أنّ الصراع الموجود بين العلم والدين لا يرجع إلى جوهر الدين والعلم، بل إلى عجزنا عن كشف الواقع العلمي أو الواقع الديني؛ لأنّ العلم والدين يتعاضدان ويكمّلان بعضهما بعضًا، بمعنى أنّ الدين والعلم ينشطان ويتعاملان في تكميل خريطةٍ واحدةٍ، وكلٌّ يكشف عن بُعدٍ من أبعاد العالَم، والعلم يبحث عن الكيفيّة، ولكن الدين يبحث عن العلل والأسباب والغايات. [گلشنی، علم و دین و معنویت در آستانه‌ی قرن بیست و یکم، ص41 و 42]

وبما أنّ أسباب التعارض بين العلم والدين وأرضيّاته لم تتحقّق في العالم الإسلاميّ وفي القرآن الكريم، فينتفي التعارض بانتفاء أسبابه، فليست هناك معلومات وقضايا قطعيّةٌ في العلوم الطبيعيّة تتعارض وتتنافى مع المعطيات الدينيّة القطعيّة؛ لأنّ الدين هو كتاب التشريع، والطبيعة هي كتاب التكوين، فلا تعارض بين الكتابين في الواقع؛ لأنّ كليهما من كاتب ومؤلّف واحدٍ وهو الله تعالى، ولهما غايةٌ واحدةٌ هي التقرّب والسير إلى الله تعالى: ﴿**أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ**﴾ [سورة الشورى: 53]، فإذا حصل التعارض الظاهري بين العلم والدين، فهذا يرجع إلى معرفتنا الناقصة والقاصرة عن هذين الكتابين الإلهيّين. [شيروانى، مباحثى در علم كلام جديد، ص 228]

الاتّجاه الثاني: الاستقلال بين العلم والدين

جرى الحديث عن العلم والدين على أنّهما ساحتان مختلفتان، بحيث يكون لكلٍّ منهما مجاله ومنهجه الخاصّ؛ وذلك لتفادي الصراع بين العلم والدين، وأطلق باربر عليهما عنوان "الاستقلال"، وبيترز "نظرية اللغتين" (The two – language theory)، إلّا أنّهما يختلفان في العرض، فباربر يعرض الاستقلال من وجهة نظر تيّارات ثلاثة: أي مدرسة التحليل اللغوي، والمذهب الأرثوذكسي الجديد والوجوديّة، في حين أنّ بيترز يحصرها بنظرية اللغتين.

فبناءً على نظريّة الاستقلال بين العلم والدين يمكن معرفة المسائل الكلامية من خلال الاستنتاجات العلميّة؛ لأنّ لكلٍّ من الدين والعلم مجاله الخاصّ، وفي هذا السياق يقول باربور: «إنّ الاستدلالات الكلاميّة يمكن استنباطها واستخراجها من العلم بصورة مباشرة وواضحة، بل حتّى وجود الله يمكن إثباته بواسطة الآثار الجانبيّة الطبيعيّة، مثل برهان النظم والإتقان، أو نتيجة الاكتشافات العلميّة الحديثة، مثل التكامل وزيادة الطاقة الديناميكيّة، أو صفات الفيزياء الرياضية في القرن العشرين، يعتمد هذا الاتّجاه على معطيات العلم في إثبات وفهم القضايا الدينيّة» [باربور، علم و دين، ص163].

يمكن تقسيم المؤيّدين لاستقلال العلم والدين في الغرب إلى ثلاث مجموعات:

الأولى: التقليديون الجدد (الأرثوذكس الجدد) (Neo Orthodox): وهم الذين يعتقدون أنّ العلم والدين يختلفان على الأقلّ في أحد المجالات الثلاثة: الموضوع، والهدف، والطريقة. [باربور، الدين والعلم، ص85]

الثانية: الوجوديّون

يعتقد الوجوديّون الدينيّون بفوارق عديدة بين العلم والدين:

1ـ أنّ المعرفة العلميّة غير شخصيّة وموضوعيّة، في حين أنّ المعرفة الدينيّة شخصيّة وذهنيّة.

2ـ موضوعات العلم أشياء مادّيّة، وموضوعات الدين حقائق شخصيّة وأخلاقيّة.

3ـ يُنظر إلى الله ﷻ في العلاقة الشخصيّة (أنا ـ أنت)، وليس في التحليل العلميّ (أنا ـ هو).

4ـ يتحدّث العلم عن البيانات العامّة والموضوعيّة القابلة للتكرار، والدين حول النظام العالميّ وتجاربنا الدينيّة.

5ـ يتحدّث العلم عن الأسئلة الموضوعيّة (كيف)، والدين عن الأسئلة الشخصيّة (لماذا) (المعنى والهدف). [المصدر السابق]

الثالثة: أتباع فلسفة اللغة

ينجذب هؤلاء إلى تنوّع الأعمال اللغويّة، ويتأثّرون بأعمال فيتغنشتاين (Ludwig Wittgenstein) الأخيرة. فمن وجهة نظرهم العلم والدين هما لعبتان لغويتان معتبرتان، ولكلّ واحد منهما فئات منطقيّة خاصّة بها. أمّا المجالات اللغويّة الأخرى، فهي عبارة عن الأخلاق وعلم الجمال ... في حين أنّ الغرض من لغة العلم هو التنبّؤ والتحكّم، فإنّ لغة الدين هي العبادة. أمّا اللغات المختلفة فتقوم بأعمال مختلفة، وغير قابلة لتحويل بعضها لبعض، ولا يمكن أن يكون العلم هو المعيار لجميع المحادثات ذات المعنى. وتتميّز كلّ لعبة لغويّة (مصطلح فيتغنشتاين) بالطريقة التي تستخدم بها في سياق اجتماعيّ. يطرح العلم أسئلةً معيّنةً ودقيقةً حول الظواهر الطبيعيّة، ولا ينبغي للمرء أن يتوقّع منه كلّ شيء، (على سبيل المثال: النظرة الكونيّة أو الأخلاق). [المصدر السابق، ص 86]

مناقشة الاستقلال بين العلم والدين

إن نظريّة الاستقلال بين العلم والدين جاءت لحلّ إشكالية التعارض بينهما، من خلال حصر الدين بالجانب الفردي وعدم ارتباطه بالجانب الاجتماعي لحياة الانسان، وهذه الفكرة اقترحها الدين المسيحيّ، بخلاف الدين الإسلامي؛ فإنّ تعاليمه لا تقتصر على الجانب الفردي، بل تجمع جوانب الحياة بما في ذلك الجانب الاجتماعيّ والثقافيّ والسياسيّ والاقتصاديّ، كما

يقول مصباح اليزدي: «إنّ مشكلة المبشّرين المسيحيين الذين تعرضوا إلى هذه الحالة، يكمن في أنّهم لم يكونوا يمتلكون الديانة المسيحية الحقيقية كي يتمكنوا من العمل على نشرها وبيانها. وأمّا القرآن الكريم، فهو كلام الله، والدين الإسلامي ناسخٌ لجميع الأديان، وضامنٌ لسعادة البشر إلى يوم القيامة؛ وبذلك فإنّه يختلف عن المسيحية اختلافًا كاملًا» [مصباح يزدى، شيوه‌هاى اسلامى‌كردن دانشگاه‌ها ، مجلة معرفت، سال پنجم، شمارهٔ 4، ص 6 و 7]

وفي هذا المجال يقول كلشني في كتابه "العلم والدين من منظور الرؤية الكونية التوحيدية": «هناك أسئلة كثيرة في العلم لا يستطيع العلم نفسه الإجابة عليها؛ لأنّ العلم قويّ في مجاله الخاصّ، لكنّ هذا المجال محدود، ولا يستطيع العلم أن يبدي رأيًا في مجالات أخرى، فعلى سبيل المثال: لا يمكنه التحدّث عن جمال أو عظمة مدينة، أو لا يمكنه شرح الإرادة البشريّة الحرّة. وباختصار هناك قضايا لا يستطيع العلم الإجابة عليها، وفيما يلي بعض الأمثلة على الأسئلة الأساسيّة في الفيزياء: ما الواقع الفيزيائيّ؟ وهل هو واحد أو متعدّد؟ وهل هو مادّيّ أو غير مادّي، أو كلاهما؟ وكيف خُلق العالم؟ وما الحالة النهائيّة للعالم؟ وما الهدف من خلق العالم؟ ومن أين تأتي قوانين الفيزياء؟ ولماذا لها هذا الشكل الحالي الخاصّ؟ لا تستطيع الفيزياء الإجابة على كلّ هذه الأسئلة، فقد دخل في السؤال (أ) في فيزياء الجسيمات، وفي علم الكونيات قدّمت نظريّات حول السؤالين (ب) و (ج)، لكن ليس لديها الكثير لتقوله عن بقية الأسئلة؛ لذلك توصّل بعض العلماء في العقود الأخيرة إلى استنتاجٍ مفاده أنّه يجب علينا توسيع الإطار الذي يحكم العلم ليشمل التجربة البشريّة بأكملها، وليس فقط الجزء الذي يمكن وصفه اليوم بالعلم التجريبيّ، على سبيل المثال: يجب ألّا يتجاهل العلم القضايا الأخلاقيّة والدينيّة؛ لأنّها تؤدّي دورًا في حياة الناس، وكذلك يقدّم العلم ادّعاءات حول الواقع لا يمكن قبولها أو رفضها بناءً على العلم وحده، فالعلم يحتاج إلى ميتافيزيقيا شاملة تجيب على جميع اهتمامات الإنسان» [كلشني، العلم والدين من منظور الرؤية الكونية التوحيدية، ص 102].

الاتّجاه الثالث: الحوار بين العلم والدين

من جملة الاتّجاهات المتصوّرة في العلاقة بين العلم والدين، هي علاقة الحوار، على أنّ هناك أرضيةً مشتركةً بين ما يقوله العلم حول عالم الطبيعة وبين ما يراه المتألّهون، فمثلًا يعتقد الفيزيائي الأمريكي جيمس تريفيل (James Trefil) أنّ العلم يثير بعض الأسئلة الحدوديّة التي لا يمكنه الإجابة عليها بمفرده. [باربور، الدين والعلم، ص211]

أحد مؤيّدي الحوار هو الفيلسوف الأيرلندي الكاثوليكي إرنان مكمولين (Ernan McMullin)، الذي يعتقد بأنّ الله هو العلّة الأوّليّة الذي يعمل من خلال علل ثانويّة، لكنّ هذين المستويين مختلفان، فهو ينفي وجود علاقة منطقيّة قويّة بين الادّعاءات الدينيّة والعلميّة، لكنّه يدعو إلى شكلٍ معتدلٍ من التوافق. ومن وجهة نظره لا بدّ أن يكون الهدف هو الانسجام وليس الاستلزام المنطقيّ. [المصدر السابق، ص91]

ينسب ديفيد تريسي (David Tracy) بُعدًا دينيًّا إلى العلم، ويرى أنّ الاثنين مرتبطان في هذين الأمرين:

الأوّل: القضايا الأخلاقيّة في تطبيق العلم.

الثاني: الافتراضات المتعلّقة بإمكانيّة البحث العلميّ. [باربور، الدين في عصر العلم، ص20]

أخيرًا ذكر بعض العلماء أنّ بعض الأسئلة المطروحة في العلم لا يمكن أن يجيب عليها العلم نفسه، وللإجابة عليها يجب أن نطلب المساعدة من الدين، وعلى حدّ قول الفيزيائي الحائز على جائزة نوبل آرثر شاولو (Arthur Schawlow): «تجب متابعة الأسئلة حول المبدإ بدقّة كبيرة بقدر ما تسمح به اهتمامات العلماء، لكن الإجابات ليست نهائيةً أبدًا، وتجب في النهاية إحالة الأسئلة الأعمق إلى الدين» [فارغيسي، سيرة الكون، ثيوس، ص106]. وقال أيضًا: «في رأيي عندما نواجه عجائب الحياة والعالم، يجب أن نسأل لماذا؟ وليس فقط كيف؟ والإجابات الوحيدة الممكنة لهذه الأسئلة ستكون إجاباتٍ دينيّةً» [المصدر السابق، ص105].

مناقشة الحوار بين العلم والدين

تواجه نظريّة الحوار بين العلم والدين مشكلة الخلط بين المجالين؛ لانّ البحث العلمي يبدأ من الفرضيّة أو الشكّ، ونصوص الآيات القرآنيّة تبدأ من القضايا القطعيّة، ولا يمكن أن تصمد الفرضيّات والنظريات الظنّيّة العلميّة أمام القضايا الدينيّة القطعيّة، كما لو تعارضت فرضيةٌ علميّةٌ مع آية قرآنيّة، تقدّم الآية القطعيّة عليها، فعلى سبيل المثال: يمكن الإشارة لنظريّة تطور الأنواع وتعارضها مع آيات خلق الإنسان؛ إذ فرض طرح نظريّة (تطوّر الأنواع) من قبل كلٍّ من لامارك وداروين وهكسلي وغيرهم من علماء الأحياء، ميدانًا جديدًا للجدل حول تعارض العلم والدين، فقد كانت الكتب السماويّة تتعامل مع خلق الإنسان كأمرٍ دفعيٍّ، في حين رسمت تلك المجموعة من علماء الأحياء مراحل تطوّرٍ تدريجيّةٍ للخلق، تقوم على أساس نشوء الموجودات الأكثر تطوّرًا من الموجودات التي سبقتها. [انظر: باربور، العلم والدين، ص 99 - 140]

ويتحدّث السيد الطباطبائي عن أدلّة القائلين بنظرية التطوّر عند النظر في تفسير آيات الخلق والتكوين، مبيّنًا عجز القائلين عن إثبات زعمهم، موضّحًا بالإجمال: «فالقول بتبدّل الأنواع بالتطوّر فرضيّة حدسيّة تبتني عليها العلوم الطبيعيّة اليوم. ومن الممكن أن يتغيّر يومًا إلى خلافها بتقدم العلوم وتوسّع الأبحاث» [الطباطبائي، تفسير الميزان، ج 16، ص256].

ومن هذا المنطلق، يمكن أن يكون الحوار في صورة مقارنات منهجية مهمًّا ونيّرًا، لكن ينبغي علينا التنبّه إلى أنّ المبالغة في مثل هذه المقارنات قد توقع الإنسان في الشكّاكية والنسبيّة. [مجموعة من المؤلّفين، محاضرات في علم الكلام الجديد، ص 178 – 179]

الاتّجاه الرابع: الانسجام بين العلم والدين

تأخذ العلاقة بين الدين والعلم طابعًا من الانسجام والتعاضد، ولكلٍّ منهما ادّعاءات معرفيّة يكمل بعضهما الآخر، ولمّا كانت الحضارات العالميّة تدين بازدهار علومها ومعارفها للدين وما يقدّمه من تدابير وحوافز، كما يساهم العلم بدوره في ترسيخ المعتقدات الدينيّة بشكلٍ كبيرٍ، فإنّ إهمال العلم والتفكير عملٌ مخالفٌ للعقل، وإهمال مكانة الدين ومرجعياته عملٌ يحطّ من كرامة الإنسان والعقل في كثير من المجتمعات؛ ولذا إذا أردنا الحفاظ على العلم والدّين، ينبغي علينا أن نسعى إلى رؤية عالمية واحدة، فهناك بعض المدارس والتيّارات الفكرية في الغرب ذهبت ـ فيما يرتبط بهذه المسألة ـ إلى الانسجام بين العلم والدين في كشف حقائق الكون، كما في قول إرنان مكمولين: «لا يمكن للمسيحيّ أن يفصل بين علمه وإلهيّاته، وكأنّهما غير متوافقين في الأساس ... يجب أن يسعى إلى نوع من الرؤية الكونيّة المنسجمة، الانسجام الذي يشترك فيه العلم واللاهوت والعديد من التخصّصات الأخرى التي صنعها الإنسان، مثل: التاريخ، والسياسة، والأدب. ويمكن له محاولة جعل الإلهيات وعلم الكون لديه متوافقين في مساهمتهما في هذه الرؤيّة الكونيّة» [باربور، الدين في عصر العلم، ص19]. وهذا يكشف عن أنّ هذه النظريّة ليست نظريةً مهجورةً في الغرب؛ وهناك أساليب ثلاثة قدّمها الغرب لتحقيق الانسجام بين العلم والإلهيّات:

1- اللاهوت الطبيعي (Natural Theology)

هنا تستند الحجج حول وجود الله إلى العقل البشريّ، وليس على الوحيّ التاريخيّ أو التجربة الدينيّة. ولطالما شجّعت الإلهيّات الطبيعيّة الأساليب العقلانيّة، فقد استنتج أرسطو وجود الله تعالى من وجود الكون، ووصفه بأنّه السبب الأوّل والمُحرّك الثابت للكون ومدبّره.

وسلك توما الأكويني المسار نفسه وجعل منه مقدّمةً للإلهيّات الوحيانيّة، والهدف هنا هو إقناع العقل بوجود الله، وقدّم الأكويني خمس طرق لإثبات وجود الله تعالى، فيما أعرب كبار العلم الجديد عن إعجابهم بالعلاقات المتناغمة والمنسجمة في الطبيعة وحسبوها من عمل الله، على سبيل المثال: لاحظ نيوتن أنّ العين لا يمكن أن تكون مصنوعةً بدون مهارة في البصريّات. [نيوتن، البصريات، ص344]

وقد قدّم بالي (William Paley) في أوائل القرن التاسع عشر أمثلةً لا حصر لها من الهياكل المنظّمة التي تخدم الكائنات الحيّة. [باربور، الدين والعلم، ص51 و99]

2ـ إلهيّات الطبيعة (Theology of Nature)

لا تنطلق إلهيّات الطبيعة من العلم، بل تبدأ من سنّة دينيّة قائمة على الوحيّ، لكنّها تؤمن بضرورة مراجعة بعض التعاليم الدينيّة في ضوء العلم الجديد، فإذا كانت المعتقدات الدينيّة تريد أن تتوافق مع المعرفة العلميّة، فمن الضروري إجراء بعض الإصلاحات في التعاليم الدينيّة، لكن يجب على المرء أن يستخدم الجوانب العامّة للعلم التي يقبلها الجميع، وليس النظريّات التي من المحتمل أن تتغيّر، ويؤثّر فهمنا للخصائص العامّة للطبيعة على نماذجنا حول علاقة الله بالطبيعة.

ويعدّ الفيلسوف الفرنسي تيلار دي شاردان (Pierre Teilhard de Chardin) مؤمنًا آخر في لاهوت الطبيعة، وتتأثّر أفكاره عن الله ﷻ بالأفكار التطوريّة، فهو يتحدّث عن الخلق المستمرّ، وعن الله ﷻ الذي تجلّى في عالم ناقص في حال التكامل، ورؤيته للتقارب مع نقطة أوميغا هي تعميم لاتّجاه تطوريّ متميّز عن علم المعاد المسيحي. [المصدر السابق]

3ـ التكامل المنهجي (Systematic Synthesis)

معنى التكامل المنهجيّ هو أنّ العلم والدّين يؤدّيان معًا إلى رؤية كونيّة منسجمة، التي تتضمن ميتافيزيقيا شاملة. وتعني الميتافيزيقيا: مجموعة من المقولات العامّة التي يمكن من خلالها شرح أنواع مختلفة من التجارب.

وتُعدّ الفلسفة العمليّة لوايتهيد (WhiteHead's Process Philosophy) مرشّحًا جيّدًا لهذا الرأي؛ لأنّها صيغت تحت تأثير العلم والأفكار الدينيّة، وهو أشهر من مثّل التفكير العمليّ، مع أنّ هارتشورن (Charles Hartshorn) وكوب (Jahn B. Cobb) قد استنتجا الأساسيّات الفلسفيّة لهذه المدرسة، إلّا أنّ تأثير علم الأحياء والفيزياء على الآراء العمليّة واضح؛ إذ يؤكّدان مفاهيم التغيير والارتباط بين الأحداث.

تتميّز الطبيعة بالتغيير والاتّفاق (الصدفة) والإبداع والنظام، فهي غير كاملة، وما تزال في طور التكوين، يتفاعل الله تعالى مع العالم، فهو مؤثّر في جميع الأحداث، على الرغم من أنّه ليس السبب الوحيد لكلّ حدث، فكلّ حدث هو نتاج ماضيه وعمله وعمل الله، والله تعالى هو ما وراء العالم، لكنّه قد تجلّى في العالم بطريقة خاصّة في كلّ حادثة.

ينكر أصحاب اللاهوت العمليّ قدرة الله المطلقة، ويؤمنون بإله التشجيع وليس إله الإجبار، فهؤلاء يزرعون أخلاقًا تتجنّب النزعة الإنسانيّة وتهتمّ بالحياة غير الإنسانيّة، إنّهم يطابقون الله ﷻ بالمبدإ الحيوي (Principle of Life)، فهو قوّة إلهيّة تتجلّى في الطبيعة. [المصدر السابق، ص 29 و30]

يقول إيان باربور: «إنّه يتّفق مع مبادئ إلهيّات الطبيعة إلى جانب الاستخدام الدقيق لفلسفة الصيرورة، لكنّه يعتقد أنّ التركيز المفرط على العلم ـ كما في إلهيّات الطبيعة ـ أو على العلم وفلسفة الصيرورة يمكن أن يؤدّي إلى إهمال بعض الأمور ذات الأهمية الدينيّة» [المصدر السابق، ص 30].

ومن بين أولئك الذين يؤمنون بوحدة العلم والدّين تشارلز تاونز (Charles H. Townes) الحائز على جائزة نوبل في الفيزياء الذي كان يعتقد أنّ العلم والدين نهجان مختلفان لقضيّة واحدة ـ فهم أنفسنا، وفهم العالم ـ وأيضًا أنّ هدفيّة العالم معتبرة في الدين.

وفي نهاية المطاف ـ وفقًا لتاونز ـ سوف يلتقي العلم والدين معًا، فالعلم هو محاولة لفهم نظام العالم، والدين هو محاولة لفهم المعنى في العالم، ففهم النظام وفهم الهدف والمعنى في العالم ليسا متماثلين، لكنّ هذين الاثنين ليسا بعيدين بعضهما عن بعض، بل هما مرتبطان بعضهما ببعض برؤيةٍ كونيّةٍ تربط بين الاثنين. [أ. فارغيسي، سيرة الكون، ثيوس، ص 122 و123]

وبحسب عقيدة تشارلز تاونز (Charles Townes) إذا كان هناك الكثير من القواسم المشتركة بين العلم والدين ... فمن الواضح أنّهما سيلتقيان في زمان ما. أعتقد أنّ هذا التلاقي لا مفرّ منه؛ لأنّ كليهما يُشير إلى جهد الإنسان لفهم عالمه، وعليهم أن يتعاملوا مع شيء واحد في النهاية. [تاونز، تقارب العلم والدين، المجلد 32، العدد 2، ص 7]

المبحث السابع: العلاقة بين العلم والدين في الفكر الإسلامي

لم يتّخذ الإسلام من العلم والدين موقفًا سلبيًّا صارمًا تجاه حركة البحث العلمي؛ باعتبار أنّ العلم له مكانة في القرآن الكريم، وكان سبّاقًا لهذه الحركة العظيمة؛ إذ إنّه افتتح التنزيل بكلمة ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ التي هي مفتاح كلّ العلوم والمعارف، وخاطب الناس في أكثر من موضع بصيغة ﴿**أَفَلَا يَعْقِلُونَ**﴾، ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ**﴾، ﴿**أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ**﴾،

وحثّهم على المشاهدة والمراقبة، ودعاهم في أكثر من موضع إلى التأمّل واكتشاف قوانين الكون والعمل بها، فهنالك أكثر من 730 آيةً قرآنيةً تناولت تصريحًا وتلويحًا عن مظاهر الكون المادّي، وأسرار كونيّة عجيبة اكتشفها العلم مؤخّرًا بعد جهود حثيثة، وهناك آيات تتحدّث عن مرتبة العلماء، وتؤكّد على شرف العلم وفضله، قال تعالى: ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ**﴾ [سورة آل عمران: 18] وقال تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [سورة الزمر: 9] وقال: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [سورة المجادلة: 11]، ولا يقتصر العلم في القرآن الكريم على المعرفة الدينية فقط، بل هناك الكثير من الآيات القرآنيّة تتحدّث عن الحقائق العلميّة، كما أشار بعض العلماء؛ إذ يشمل العلوم الطبيعيّة والرياضيّة وغيرهما من العلوم البشريّة المفيدة. [جعفري، العلم والدين في حياة المعقول، ص75]

إذن ليس من المنطقي إذا واجهنا ظاهرةً من الظواهر الطبيعيّة ـ كالخسوف أو الكسوف أو الفيضنات أو الزلازل أو ارتفاع درجة حرارة الأرض أو ما إلى ذلك ـ أن نتوجّه إلى القرآن أو إلى الكتب الدينيّة؛ باعتبار أنّ القرآن لم يكن كتاب فيزياء أو كيمياء أو رياضيات، وإنّما كتاب هداية وإرشاد في المقام الأوّل، وما يسترشد بإظهار علامات وجود الله في الكون، ويبيّن تنوّع الأبعاد العلميّة الموجودة في القرآن أنّ الإسلام لا يعارض أبدًا المشاركة في الأنشطة العلميّة، فالقرآن يحثّ في قضايا العلوم الطبيعيّة أن يُلتجأ إلى أهل الاختصاص، كما في قوله: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾. نعم، لرجل الدين أو القانون أو الأخلاق أن يبدي رأيًا في المجال التطبيقي، أعني في توجيه عمليّة الاستفادة من التقنيّة العلميّة وترشيدها؛ لأنّ المفروض بحركة البحث العلمي أن تكون هادفةً وليس عابثةً، وأن تسعى لخدمة الإنسان والحياة، وألّا تتحرّك وفق منطق "طلب العلم للعلم"؛ فإنّه منطق يؤدّي إلى كوارث إنسانيّة وبيئيّة.

وهذا الأمر لا يخدش بما قلناه من أنّ القرآن ليس كتابًا في علوم الطبيعيّة؛ لأنّ ما ورد في القرآن هو مجرّد إشارات جاءت في سياق بيان الأهداف القرآنيّة الرساليّة، والأمثلة على ذلك كثيرة من قبيل: الإشارة إلى بصمة البنان في قوله تعالى: ﴿**بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ**﴾، أو الإشارة إلى قانون انخفاض الضغط الجوي في طبقات الجوّ في قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ**﴾،

أو الإشارة إلى قانون الزوجية في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، [سورة الذاريات: 49] إلى غير ذلك من الإشارات التي تدعو إلى دراستها بتأنٍّ بعيدًا عن المبالغة أو الهوس الذي وقع فيه بعض المنشغلين بالعمل على إيجاد سندٍ قرآنيٍّ يرضي ميلهم ونزوعهم النفسي بشأن أسبقية المسلمين في كلّ الميادين، فتراهم يعمدون إلى لَيِّ عنق النصّ القرآني وتأويله بطريقة بعيدة كلّ البعد عن قواعد اللغة ومعايير البلاغة، ويزداد الأمر غرابة عندما يتم تطويع الآيات وتفسيرها وفق نظريات أو آراء لا ترقى إلى مستوى الاعتبار العلمي. [الخشن، العلم الدين.. خدمات متبادلة، ص2]

وفي مقابل هذه المجموعة من الآيات هناك نصوص دينيّة مليئة بالدعوة إلى التفكّر والبحث والتجربة والاختبار والسير في الطبيعة، كما قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ يُطَاعُ بِالْعِلْمِ، وَيُعْبَدُ بِالْعِلْمِ، وَخَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَعَ الْعِلْمِ، وَشَرُّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَعَ الْجَهْلِ» [المجلسي، بحار الأنوار، ج 1، ص 204]، وقال ﷺ: «الْعِلْمُ رَأْسُ الْخَيْرِ كُلِّهِ، وَالْجَهْلُ رَأْسُ الشَّرِّ كُلِّهِ» [المصدر السابق، ج 74، ص 175]، وَقَالَ ﷺ: «اطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ بِالصِّينِ؛ فَإِنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ» [النيشابوري، روضة الواعظين وبصيرة المتّعظين، ج 1، ص 11]، وقال ﷺ: «العلماء مصابيح الأرض» [پاينده، نهج الفصاحة، ص580]، وقال أمير المؤمنين الإمام عليٌّ عليه السلام: «لا عِبادَةَ كالتَّفكُّرِ في صَنعَةِ اللهِ عزّ وجلّ» [الري شهري، ميزان الحكمة، ج3، ص77].

ومن هذا المنطلق، يتّضح موقف الإسلام من العلم والدين، فهما متآزران بعضهما مع بعض، ومكمّلان بعضهما لبعض، يقول السيّد الطباطبائي: «إنّ العلاقة بين العلم والدين تقوم على أساس تناغمهما، وتقديم كلّ منهما خدماتٍ للآخر، وتأثيرهما المتبادل» [الطباطبائي، تفسير الميزان، ج1، ص11].

طرح الطباطبائي أسلوبَين لفهم الحقائق القرآنيّة ليختار الصحيح منهما؛ إذ لا يمكن فهم تلك الحقائق وتحديد مقاصدها عن طريق الدراسات العلميّة إلّا بصورتَين: إحداهما تقوم على إطلاق بحث علميٍّ أو فلسفيّ حول الموضوع الذي يتعرّض له القرآن الكريم ليُصارّ إلى متابعته حتّى نؤدّي للموضوع حقّه في التوضيح والإثبات؛ لنؤكّد مواكبة الآية لما توصلنا إليه، وهذا الأسلوب غير مقبول قرآنيًّا بالرغم من تأييد البحوث والدراسات العلميّة والنظريّة له.

أمّا الأخرى، فتتمثّل في الاستعانة بنظائر الآية المراد تحديد مقصودها لاستيعاب الموضوع (وعندها لا إشكال في القول بتأييد العلم لما توصلنا)، وهو أسلوبٌ يمكن اعتباره تفسيرًا ويتبنّاه القرآن ذاته، والذي يصف نفسه ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾، إذن ينبغي لأسلوب الاستفادة

مـن المباحـث العلميّـة في سـياق التفسـيرات العلميّـة أن يكـون بحيـث لا يدفـع التمسّـك بنتائـج الدراسـات العلميّـة إلى فرضهـا على القـرآن. [المصدر السابق]

ويذكـر كلشـني أنّ الموقـف الذي سـاد الحضـارة الإسـلاميّة وتبعـه علمـاء الديـن المسـيحيون وعلمـاء الإلهيّـات في العصـور الوسـطى وبدايـة العلـم الجديـد، كان مصـدره القـرآن الكريـم والأحاديـث، كمـا ذكـره علمـاء الإسـلام بوضـوح، على سـبيل المثـال كتـب أبـو ريحـان البـيروني: «وعندمـا يقـرّر شـخص مـا التعـرّف على الحـقّ والباطـل كلّ على حـدّة، فإنّـه لا بـدّ أن يـؤدّي عملـه إلى البحـث عـن حالـة العالـم هـل كان موجـودًا منـذ الأزل أم أنّـه حـادث، وإذا اعتـبر أنّ هـذا البحـث غـير ضروريّ له، فسـيكون المسـلك الذي يسـير عليـه لا يخلـو مـن التفكـير في التدابـير الـتي يـدور حولهـا نظـام العالـم في وحدتـه وأجزائـه ... وهـذا البحـث والتفكّـر هـو مـا أراده الله تعـالى مـن عبـاده؛ إذ قـال ﷻ: ﴿**وَيَتَفَكَّـرُونَ فِي خَلْـقِ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَـا مَـا خَلَقْـتَ هَـذَا بَاطِـلًا**﴾ [سـورة آل عمـران:191].

ويقـول أيضًـا: «إنّ وجـوب علـم مـا ـ كمـا يـرى بعـض العلمـاء ـ منـوط بمـدى فائدتـه، ومعيـار هـذه الفائـدة هـو الهدايـة إلى الله وتأديـة فرائضـه، ولا فـرق في ذلـك بـين العلـوم الدينيّـة وعلـوم الطبيعـة» [كلشـني، مـن العلـم الدينـي إلى العلـم العلـماني، ص 83].

الخاتمة

في خاتمة هذا البحث من الضروري أن نستعرض هنا أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، وهي باختصار:

1ـ أنّ الأحداث في أوروبّا المرتبطة بالثورة العلميّة وعصر التنوير أدّت إلى قيام علماء الاجتماع والباحثين، ومن ثمّ علماء الأنثروبولوجيا، بطرح نظريّة مفادها أنّ الدين والعلوم الطبيعيّة في صراعٍ منهجيٍّ، بعد أن كان الدين وتوجيهاته هو المهيمن، فكان الاتّجاه السائد والمعروف للعلاقة بين العلم والدين في الغرب هو اتّجاه التعارض، ولكن الأمر ليس كذلك؛ باعتبار أنّ المقاربات الغربيّة في التعامل مع مشكلة الصراع بين العلم والدين يمكن تقسيمها إلى أربعة اتّجاهات أساسيّة: منها الصراع بين العلم والدين، ومنها الاستقلال بين العلم والدين، ومنها الحوار بين العلم والدين، ومنها الانسجام بين العلم والدين. وتعود ظاهرة هذا الانقسام إلى عصر الحداثة، الذي تزامن مع حركة الإصلاح الديني التي كشفت عيوب الكنيسة الكاثوليكيّة، ودعت إلى حرّية قراءة الكتب المقدّسة، وعدم الالتزام بالتقاليد الكنسية الصارمة.

2ـ من أوضح ما حكي في التكامل بينهما ما ارتآه إرنان مكمولين من أنّه لا يمكن للمسيحيّ أن يفصل بين علمه وإلهيّاته، وكأنّهما غير متوافقين في الأساس ... يجب أن يسعى إلى نوع من الرؤية الكونيّة المنسجمة، الانسجام الذي يشترك فيه العلم واللاهوت والعديد من التخصّصات الأخرى التي صنعها الإنسان، مثل: التاريخ، والسياسة، والأدب. ويمكن له محاولة جعل الإلهيات وعلم الكون لديه متوافقين في مساهمتهما في هذه الرؤية الكونيّة.

3ـ أمّا موقف الإسلام، فلا يوجد مانع من توظيف العلوم الحديثة في القضايا القرآنية إذا قامت على رعاية الموازين المنهجيّة؛ باعتبارهما تتحدّثان عن موضوعٍ واحدٍ، فالعلم يتحدّث عن الحوادث الطبيعيّة، والقرآن يتحدّث عن الغاية والهدف، وكلٌّ منهما يعمل على إكمال وتتميم الآخر، وهذا يمثّل دليلًا على عظمة هذا الكتاب الإلهيّ، كقوله تعالى: ﴿**وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ**﴾، فنرى القرآن ـ بوصفه مصدرًا من المصادر المعرفة ـ يتحدّث بشكلٍ دقيقٍ عن موضوع من الطبيعة مع ذكر عللة الطبيعيّة قبل قرون، وهذا ممّا يشكّل أرضيةً للكشف عن القوانين العلمية، بمعنى أنّ هناك نوعًا من الوحدة والتناغم والانسجام بين بعض قضايا العلوم الحديثة وبين القضايا العلميّة للقرآن؛ وبذلك قد عملوا في الحقيقة على توظيف العلوم الحديثة

في خدمة فهم القرآن، وأثبتوا باستخدام الاكتشافات العلميّة القطعيّة صحّة المسائل القرآنيّة، كرسوخ الجبال: ﴿**وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا**﴾، ودور الماء في ظهور الحياة: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**﴾، وقانون الزوجيّة العامّ بين الكائنات: ﴿**وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾، ودور الرياح في ظهور السحب والمطر: ﴿**واللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ**﴾، والتلقيح بواسطة الرياح: ﴿**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ**﴾.

4ـ أمّا فيما يتعلّق بالصراع الذي نراه بين العلم والدين، فإنّ ذلك يعود إلى إهمال القائمين على العلوم الطبيعيّة، وإقحام رجال الدين في أمور ليس لهم اختصاص فيها؛ لأنّ القرآن يحثّ في قضايا العلوم الطبيعيّة على أن يلتجئ إلى أهل الاختصاص، كما في قوله: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾.

قائمة المصادر

القرآن الكريم.

أ. فارغيسي، سيرة الكون، ثيوس، ترجمه هومن پناهنده، مجله نامه فرهنگ، العدد 3، 1991م.

أينشتاين، ألبرت، أفكار وآراء، ترجمة د. رمسيس شحاته، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1986م.

الخشن، العلم الدين.. خدمات متبادلة. https://www.al-khechin.com/article/73

الريشهري، محمدي، ميزان الحكمة، دار الحديث، قم، الطبعة الأولى، 1416هـ.

الزبيدي، عبد الرحمن، مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، 1992م.

السرجاني، العلم وبناء الأمم، مؤسسة أقرأ، القاهرة، الطبعة الأولى، 1428هـ.

الطباطبائي، محمدحسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسّسة الأعلميّ، بيروت، الطبعة الخامسة، 1403هـ.

القرضاوي، يوسف، موقف الإسلام من العقل والعلم، مكتبة وهبة، القاهرة، 1996م.

المجلسي، محمدباقر، بحار الأنوار، مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية، قم، الطبعة الأولى، 1388ش.

باربور، ايان، علم و دين، ترجمه بهاءالدين خرمشاهى، مركز نشر دانشگاهى، تهران، چاپ يكم ، 1362ش.

تاونز، تشارلز، تقارب العلم والدين، فكر، المجلد 32، العدد 2، آذار ونيسان 1965م.

جعفري، محمدتقي، العلم والدين في حياة المعقول، منشورات سيما، 1360ش.

جوادى آملى، عبدالله، منزلت عقل در هندسه‌ى معرفت دينى، موسسه‌ى اسراء، قم، چاپ چهارم، 1389ش.

حسن زاده، محمد، مدخل في نظرية المعرفة وأسس المعرفة الدينية، أطياف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1434هـ.

راسل، برتراند، أثر العلم في المجتمع، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، 2008م.

رضائي، محمد وآخرون، أبحاث في الكلام الجديد، طهران، سمت، 1381ش.

سروش، عبد الكريم، كراس علم ودين، موسسه فرهنگی صراط، تهران، 1375هـ.

شيروانی، علی، مباحثی در علم كلام جديد، پژوهشگاه حوزه و دانشگاه، چاپ پنجم، 1400ش.

صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

علا أنور، التفسير في العلوم الاجتماعية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، 1979م.

فتال النيشابوري، محمد بن أحمد، روضة الواعظين وبصيرة المتّعظين، انتشارات الرضي، قم، 1375ش.

كلشني، محمدمهدي، العلم والدين من منظور الرؤية الكونية التوحيدية، المترجم السيد كاظم الرضوي، انتشارات جامعة المصطفى ﷺ العالمية، قم، الطبعة الأولى، 1401 هـ.

كلشني، محمدمهدي، العلم والدين والمعنويات في سدة القرن الواحد والعشرين، مجلّة آفاق الحضارة الإسلاميّة، العدد 10، 1423هـ.

محمد عبد الله دراز، الدين، دار ابن النديم للنشر، مركز تفكّر للبحوث والدراسات، 2019م.

محيطي أردكان، محمدعلي، تاريخ العلاقة بين العلم والدين في الإسلام والغرب، مجلة المعرفة، السنة 22، العدد: 188، 1392هـ.

مصباح اليزدي، محمدتقي، المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، ترجمة: عبد المنعم الخاقاني، دار التعارف، بيروت، 1990 م.

مصباح يزدی، محمدتقی، شيوه‌های اسلامی كردن دانشگاه‌ها، مجله‌ی معرفت، سال پنجم، شماره‌ی 4.

نيوتن، إسحاق، البصريات، ترجمة إلياس شمعون، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1987م.

پترسون و ديگران، عقل و اعتقاد دينی، ترجمه‌ی احمد نراقی و ابراهيم سلطانی، طرح نو، 1376ش.